في المحاكم

الدفاع الذي القاه الاستاذان

الفاضلان محمد سعيد المحاسني وسامي الميداني

عن موكلهما فخري بك البارودي لدى المجلس العدلي بدمشق

لقد قسمنا هذا الدفاع عن موكلنا فخري بك البارودي الى اربعة ابحاث

فالبحث الاول يتعلق بالاتهام وما ورد فيه من البراهين والدلائل .

والثاني يتضمن تمحيص شهادات الحق العام .

والثالث يحتوي على تفنيد الاتهام والمواد القانونية المذكورة فيه .

والرابع يبحث في شخصية المتهم وماضيه وحاضره .

البحث الاول

لقد ورد في الاتهام ان لفخري بك صلة بالمحافل السياسية وانه صديق حميم للدكتور شهبندر وعدو لدود للحكومة المنتدبة وانه قد لعب دوراً مشتبهاً به في زمن حكومة فيصل حينما كان مرافقاً للامير وانه نشر دعاية لاجل استقلال سوريا الى آخر ما جاء بهذا الصدد .

فنقول: ان هذه العبارات فضلاً عن انه ليس في اضبارة هذه الدعوى ما يؤيدها فانها لاتتضمن مادة ولا فعلا يوجب العقاب لانه لكل فرد في هذا المجتمع

[illegible]

لاستقلال الأدلة اما القول بأن الموكل [illegible] هو قول لا اصل له [illegible]
الشبهة لاتوجب القصاص ولان اليقين لا يزول بالشك والحدود تدرء بالشبهات .

اما ذهاب المتهم الى دوما فهو حقيقي ولكنه ذهب اليها مرات عديدة لا مرة واحدة
لان له فيها اراضي واسعة [illegible] قبل ٢٨ تشرين
الثاني سنة ١٩٢٥ الى هذه القضية مرات متعددة كما جاء في افادة الشهود [illegible] دون ان
يصادف احدا او يتكلم مع احد من الثوار [illegible] الدفاع ان الموكل
لم يذهب الى دوما الا [illegible] شهادة شهود الحق
العام ان كثيراً من الناس ذهبوا في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ الى دوما وقد
اجتمع بحرستا اكثر من [illegible] سيارات وكثير من الركاب بمجرد الذهاب نحو حرستا
الذي لا يعد جرماً والحكومة لم تكلف [illegible] من ذهب الى حرستا في ذلك اليوم
ولما كان القانون يطبق على الاعمال لا على الاشخاص لا يجوز [illegible] عقاب الموكل
لمجرد ذهابه الى دوما في ذلك اليوم اما ما ورد في [illegible] الاتهام من ان الثوار قد هجموا
الطريق بين الشام ودوما في ذلك اليوم [illegible] في تلك الطريق
فهو قول مجرد [illegible] في هذه الدعوى من ان
الثوار كانوا ذلك اليوم في حرستا [illegible] الطريق [illegible] من
وصول [illegible] الشق [illegible] في مكان
قريب من [illegible] حرستا [illegible]
وكان هذا [illegible] من الاشياء [illegible]
[illegible] لا [illegible] لا يعد جرماً
ان استنتاج المتهم [illegible] لا يعد جرماً ايضاً اذ لو كان
الاستنتاج [illegible] لوجب عقاب كل من [illegible] الثوار [illegible] داره وافتدى
نفسه بالمال [illegible] مالا واما قضية السلب فهي باطلة لا اصل لها من الحقيقة

لان جميع الشهود قد افادوا ان الثوار كانوا يحجزون الناس ذلك اليوم في بيادر حرستا ولكنهم لم يسلبوهم شيئاً من اموالهم فليس بالامر العجيب اذن ان لا يتعرض الثوار للمتهم وخيل عجلته ومتى تحقق لدينا ان كثيراً من الناس قد اوقفوا ثم اطلق سراحهم في ذلك اليوم يتعسر علينا ان نعتقد ان فخري بك قد عومل كغيره من الاشخاص ولم يكن هناك ما يدعو فخري بك الى الخوف والذعر من الذهاب الى دوما لانه كان كغيره يجهل وجود الثوار في حرستا فالصحف المحلية لم تكتب شيئاً خاصاً حتى ذلك اليوم عن وجود الثوار في تلك الانحاء فلهذا كله لا يمكننا القول ان هذه الطريق كانت موصدة في وجوه الاشخاص الآمنين كفخري بك المتهم الحاضر اما ركوبه عجلة تجرها خيول مطهمة فليس بالامر الحديث اقتناء فخري بك هذه العجلة ، يقتنيها منذ مدة طويلة وفي اقتنائه العجلة والجياد المطهمة دليل على الرخاء والثروة وهذا ما تتمناه حكومة الانتداب لهذه البلاد الوديعة في يدها وزد على ذلك ان معاملة الثوار لشوكل كانت اشد منها لغيره اذ انهم قد ارفقوه بثلاثة من الثوار المسلحين قبل وصوله الى حرستا وانزلوه من عربته قرب المصنع ثم ساقوه مخفوراً ماشياً الى رؤسائهم فالقول باكرام الثوار لفخري بك هو قول باطل كما ان مقابلته لحسن الخراط ومصافحته اياه هي ارجوزة اختلقها المختلقون .

ان الشوفورية الثلاثة الذين دونت شهادتهم في الاستنطاق اتفقوا على وجودهم في حرستا بزمن واحد ومكان واحد وقد اختلفوا في حقيقة هذه المصافحة فاحدهم قال ان الخراط كان قاعداً والآخر قال انه كان واقفاً كما سنوضحه مفصلا في البحث الثاني على انه لو سلمنا بصحة اقوال احد الشوفورية المناقضة لشهادة الآخر فان ذلك لا يثبت وجود الصداقة بين شوكل وجماعة الثوار فان الثوار حين جاؤا الدار منير افندي الحراوي كاتب العدل بدمشق واخذوه منها قد اركبوه فرساً من باب داره ثم ارجعوه في اليوم نفسه الى المدينة معززاً مكرماً فهل كان عدم ازعاجهم له ناشئاً عن

صداقتهم ومودتهم الخالصة له . فقد اخذوا قبلا من قرية المليحة عدداً من الضباط وما لبثوا ان اعادوهم الى دمشق واحداً بعد آخر بدون ان يمسوهم بسوء . فهل لنا ان نتهم هؤلاء الضباط بالاتفاق مع الثوار . اما القول بان الموكل صديق لهم يشتغل معهم ويأتيهم بالمعلومات الثمينة فهو قول فضلاً عن عدم صحته كما سنوضحه في محله فليس فيه مزية قانونية لاننا اذا سلمنا بالمادة تحري بن حسن الخراط التي سنبين بطلانها وعدم صحتها في المكان المخصوص من هذا الدفاع ، نجد ان المرقوم قال بصريح لفظه ان الموكل لا علاقة له مع ثوار حسن الخراط وان علاقاته مع عكاشه ورفقائه فقط وقد تحقق من الشهادات ان الشهود لا يعرفون اولاد عكاشه معرفة حقيقية ومن المعلوم ان اولاد عكاشه قد اتخذوا مقراً لهم جهات وادي بردى اما جهات دوما وما يليها فهي مأهولة بالعصابات التي تنفي تحريات الخراط اتصالها بالموكل ونفيه هذا يكفي للدلالة على بطلان ما اسند الى الموكل من تموين الثوار واذا دققنا في هذه الجملة وفي القول المنسوب الى الثائرين ان المتهم كان يأتيهم بالمعلومات الثمينة وقابلنا بين ذلك وبين المادة الشوفور بري الذي قال انه ذهب مع المتهم الى دوما اكثر من مرة وانه لم يقف بطريقه ولم يكلم احداً من الثوار ولم ير منه ما يوجب الريبة لظهر لنا فوراً بطلان هذه الافادات وفسادها ولو كان للمتهم ادنى صلة بالثوار لوجب ان يرى هذا الشوفور ويسمع في ذهابه الاول وبقائه في دار المتهم ما يؤيد اتصاله بهم . وحبذا لو كان بالامكان ان تذهب هيئتكم الكريمة الى حرستا وتباشر التحقيق الدقيق فيها وتستشهد اهلها لتبين لها حينئذ الحقائق بجلى مظاهرها فتخرج هذا البريء نوراً من غياهب السجن ومخالب المفترين الكاذبين ولقد ورد ايضاً في الاتهام ان الموكل مكث مدة طويلة في حرستا ولم يصل الى دوما الا في اليوم الثاني مع انه لا يوجد في صحائف التحقيق ما يدل على ذلك بل بالعكس ، فقد ورد في بعض الافادات ان الثوار اطلقوا الموقوفين في الساعة السادسة زوالية

الذهب كلما عم الحال [illegible] حدثت هذه
الواقعة ولكنه لم يعثر [illegible] في الطريق
فقد ثبت ان الحريق [illegible] بصورة عامة [illegible] دل على الفاقة مع
العصابات [illegible] الطبيعية [illegible] في احوال
هذه الامراض [illegible] بين الهواء
فالمار لا يقدم على [illegible] من امواله [illegible] اما قضية الشعير
فقد ثبت شهادة [illegible] الطريق [illegible] الشعير بساعة
تقريبا . ان هذه الحيطة [illegible] الهواء وثبت بالشهادة الثالثة
ان الحبوب ارسلت ثلاث مرات في يوم واحد فما ارسل في المرة الاولى وصل الى
دمشق وما ارسل في المرة الثانية [illegible] في الطريق [illegible] في المرة الثالثة
الحال الى دوما [illegible] ارسل هذه
الحبوب بقصد [illegible] الحنطة في المرة الثانية
لانها اشق [illegible] من الشعير [illegible] الى دوما [illegible]
دام [illegible] الهواء [illegible] من عدد [illegible]
الاحوال الى [illegible]
لاتفاق هنالك على ارسال الحبوب [illegible] برضى صاحبها
واختياره [illegible] على [illegible] دمشق
[illegible]
على ما [illegible] الحبوب [illegible]
الحبوب [illegible]
ان [illegible]
المذكور [illegible]

حكمت بجري الخراط [illegible] [illegible] [illegible] وتجري [illegible] كتمها ومواجهتها حتى يتضح لها صحة هذه الافادة [illegible] [illegible] الا لا يخفى ان هذه الافادة تفقد كل قوة ومزية قانونية لانها [illegible] [illegible] [illegible] فلما صحت لانها تكون من قبيل عطف الجرم [illegible] [illegible] [illegible] الافادة [illegible] الشاهد ولا يوجد فيها شيء من المشاهدة وكل ما فيها هو ظن وتخمين [illegible] [illegible] حكاية التحدث مقرًا لها جهة الوادي [illegible] حسن الخراط التحدث مقرًا جهة [illegible] [illegible] كما قلنا يجب ان يكون [illegible] [illegible] [illegible] من قصبة دوما التي [illegible] ذهاب بجري [illegible] اكثر من مرة [illegible] [illegible] انه ذهب مرة واحدة الى الوادي سادسًا واخيرًا ان [illegible] القانون [illegible] [illegible] حلف الشهود [illegible] بعد تحليفهم اليمين [illegible] [illegible] بالرغم من [illegible] لدى المستنطق الوطني وما ذلك الا بقصد تقدير الشهادات وتمحيصها من جهة واظهار التناقض والتباين من الشهادات من جهة ثانية ثبوت بجري الخراط [illegible] شهادته في [illegible] المحكمة تضعف شهادته التي هي ضعيفة من حيث اساسها لانها [illegible] على السماع والاوهام وخلاصة القول ان هذه التهمة باطلة وهي لا تخلو من ان تكون مكيدة [illegible] [illegible] القضاء على هذا الرجل الفاضل لغايات في نفسه .

البحث الثاني

تمحيص شهادات الحق العام

اولا — ان [illegible] [illegible] شهد شهادة لا [illegible] لها وجدان ولا يمكن الاعتماد عليها وهي مبنية على السماع من اشخاص لا يعرفهم لا اسمًا ولا هوية وكان الاجدر به لو كان ما يقول حقًا ان يحضر المحكمة يوم [illegible] [illegible] [illegible] هوية من نقل له هذه الشهادة لان [illegible] [illegible] [illegible] الا [illegible] [illegible] الغايات [illegible] [illegible] [illegible] على علاتها ولا يمكن الاكتراث بها

والاعتماد عليها وزد على ذلك ان جان غير واقف على دقائق اللغة العربية وغير قادر على فهم الاحاديث بصورة حقيقية .

ثانيا — ان الكابتن بوطاور شهد وهو مطلع على الحقائق شهادة ملؤها اليقين فقد قال ما رآه وجمعه من مختار قصبة دوما وذكر ان من دأب هذا الموكل خدمة الفقراء والانسانية ولا شك ان شهادته هذه هي المقبولة نظر محكمتكم الموقرة .

ثالثا — محمود الدوماني وهو رجل امي قروي بسيط قد اخذت الحادثة على الفور قبل ان يقف على ما نسب الى موكلنا فأفاد الحقيقة وكانت شهادته بسيطة جداً عارية عن كل تصنيع وترتيب فكانت كافية لدحض ما نسب الى الموكل .

رابعا — جوزه ف عيسى جبيل جورج عوض احمد بن محمد العصفور وديع بربور هؤلاء الشهود قد تناقضوا في الشهادات واختلفوا فيما بينهم اختلافات محسوسة ربما توجب توقيفهم بجريمة الشهادة الكاذبة فهم يقولون انهم رأوا المتهم يوم الحادثة في عربته في حرستا ولكنهم يتناقضون في عدد الاشخاص من الثوار الذين ركبوا عربته بجانبه وبجانب السائق حتى ان احدهم قال انه لم ير احدا من الثوار في عربة الخوري بك واختلفوا في ملاقاته مع حسن الخراط والبعض منهم قال انه صافحه والبعض قال انه لم ير ذلك واتفق اثنان منهم على ان حسن الخراط عند وصول المتهم الى حرستا كان واقفاً وقال الثالث منهم انه كان قاعداً لا واقفاً والى جانبه الرشاشات وقال هذا الثالث ان الخوري جاء وجلس بجانب حسن الخراط مع ان الاثنين لم يقولا بذلك وقال الرابع انه لم ير الموكل عندما نزل من العربة كلم احداً او صافح احداً كل ذلك مما يجعلنا في ريبة عظيمة من صحة هذه الشهادات لان الشهود بعد ان قالوا انهم وجدوا جميعاً في زمان واحد ومكان واحد لا يجوز لهم ان يختلفوا على هذا الشكل فيرى احدهم ما لا يراه الآخر كل ذلك مما يجعل احدهم كاذباً فيما يقول ولما كان لا دليل لدينا يرجح قول احدهم عن الآخر يتحتم علينا ان نعتبر جميع هذه

الافادات ومتى عرفنا ان الشهود المذكورين كانوا قبل ذلك اليوم لايعرفون اولاد عكاش وحسن الخراط اتضح لنا عدم صحة هذه الشهادة وكونها اوهام في اوهام على ان كل واحد من الشهود قد اختلف في شهادة نفسه اختلافات في المكان والاشخاص ادى الى زيادة الاطمئنان الى ان هذه الشهادات ملفقة واما ما جاء في افادة احدهم جرجي عوض ان احد الثوار قال للآخر انه يجب ان نأخذ خيل عربة فخري بك لانه معنا فتلك افادة لو صحت فانها لاتخرج عن الظن والتخمين لان فخري بك لو كان معهم لما قال الثائر الآخر الى رفيقه المذكور انه يريد اخذ الخيل واذا دققنا حقيقة هؤلاء الثوار لابد لنا من ان نعرف كونهم مؤلفين من جميع القرى والقصبات ولا يبعد ان يكون منهم اناس من قصبة دوما ممن عرفوا حسنات هذا الموكل وخدمته للفقراء فارادوا ان يقولوا للثائر مثل هذه الاقوال ليمنعوه عن ايذائه فلا يمكن ان يكون قولهم هذا اذا صح دليلاً كافياً للحكم او موجباً للشبهة والاغرب من هذا كله هو انتخاب الشهود من الشوفورية فقط ولكن هؤلاء الشوفورية المساقين للشهادة هم ممن عرفوا بعلاقاتهم مع اناس عرفوا بعدائهم لموكلنا وقد قال هؤلاء الشهود ان عدد الاتوموبيلات التي كانت بحرستا اذ ذاك اكثر من تسعة فلانعلم ماهي الاسباب التي اوجبت الاكتفاء بشهادة هؤلاء الشوفورية وعدم جلب بقية اصحاب السيارات وركابها لتظهر الحقيقة

وهنا لابد لنا من ان نقول ان هؤلاء الشهود متطوعون في هذه الشهادة لاسباب يعلمها كل من يدقق في هذه الشهادات في حين ان شهود الدفاع كلهم من كبراء موظفي الحكومة واعيان البلاد وقد افادوا جميعهم ان موكلنا قد ذهب الى دوما بعد ان استأذنهم لقضاء حوائجه ولتأمين معيشة الفقراء الذين عضهم الدهر بأنيابه . وقد علم من شهادة جناب الكابتن بوهاروه ان امر اعانة الفقراء حصل فعلاً من قبل المتهم وتأيد ذلك بشهادات الشهود وقد ورد في صحائف المحاكمة ان المتهم عندما ذهب الى دوما كان كلف بعض الناس للذهاب معه ومنهم المسيو موريس المستخدم على الآلة

الكائنة لدى جانب مستشار نيابة الحكومة [illegible] به الموكل [illegible] كي [illegible] الاموال [illegible] دعي هذا المتعهد العقاب معه لانه امكنه ايصال [illegible] الى المستشار المشار اليه [illegible] ان الاموال لم تكن [illegible] ان المتهم [illegible] اعتدي [illegible] لان [illegible] الاموال المتهم على [illegible] حقيقة [illegible] الدعوى غرض [illegible] .

البحث الثالث

لقد ذكرنا في المحل المخصوص من هذا الدفاع ان الموكل لم يرتكب جريمة تستوجب العقاب ، ونزيد على ذلك ان ما نسب الى الموكل من [illegible] والمقدم [illegible] في الطريق [illegible] لا يمكن ان تنطبق على المادة ١٥٥ ، ذيل المادة ١٤٠ من قانون الجزاء .

لان المادة ٦٦ قد اشترطت في تكوين الجرم [illegible] بها [illegible] على [illegible] وقوع [illegible] الأمن [illegible] وذكرت هذه الشرائط معطوفة بعضها على بعض [illegible] العطف [illegible] الجرم [illegible] في هذه المادة الا اذا اجتمعت كل هذه الشرائط [illegible] دون [illegible] على القتل والنهب والغارة [illegible] لان هذه الاحوال [illegible] شروط اساسية اذ [illegible] حكم تطبيق هذه المادة [illegible] الاصل [illegible] قانون الجزاء [illegible] محكمة [illegible] امر الجزاء وعلى هذه المادة يتوقف على [illegible] جميع هذه الشروط [illegible] ومنه [illegible] الاصل [illegible] تطبيق هذه المادة على

موكلنا في قرار الاتهام ناشئ عن الاعتماد على هذه المادة المحررة في مجموعة يونغ لان هذه الترجمة محرفة ومخالفة للأصل التركي والترجمة الفرنسية وقد احضرنا النسخ الثلاث لتطبيقها وتحقيق ما قلناه بذلك وبما ان هذه الشروط غير موجودة في هذه الدعوى فلا يمكن الاستناد الى هذه المادة بوجه من الوجوه . اما الدليل الاول المادة — ٥٨ — من قانون الجزاء المذكور فانه يبحث في ايجاد الاسلحة واعمالها لمساعدة جمعيات فسادية تتآمر على حياة شخص او اشخاص فليس له ادنى علاقة هذه بالجرم المستند الى الموكل .

البحث الرابع

في شخصية المتهم وماضيه وحاضره

ان اعمال الانسان هي مرآة اخلاقه وتصوراته وان نظرة واحدة في تاريخ حياة الموكل واعماله السابقة تذكرنا بحكم الحكام العادلين على اطوار المتهم واجتنابه الامور السياسية واكبابه على الاعمال الخيرية واهتمامه بالشؤون العمرانية والاقتصادية وصرفه كل اوقات فراغه في اللهو والهزل .

لم يبلغ موكلنا سن الاربعين ومع ذلك فانه سعى سنة ١٩١١ لتأليف جمعية خيرية لمساعدة الفقراء والمعوزين ومعالجة البائسين والمحتاجين ومنع التكفف في الطرقات وكتب في ذلك مقالات طويلة في جريدة المقتبس وفي الصحف البنانية اليومية حض الناس فيها على اخراج هذا المشروع من حيز القول الى ساحة العمل .

وقد اشتهر بين الناس منذ الصغر بعطفه على الفقراء واهتمامه بنشر العلم فانتخب عضواً في جمعية الاسعاف الخيري ومد يد المعونة الى جمعية المقاصد الخيرية ولم يترك فرصة الا واغتنمها على استجداء اكف الاغنياء لمساعدة الفقراء والبؤساء وقد وهب ارضاً من اراضيه الخاصة في دوما لتكون مدرسة لتعليم النشء

وتهذيبه وبنى فيها بأموال المحسنين بناية جميلة ثم جعلها بأسم الحكومة سنة ١٩٢٣ ودفع رواتب معلم في قرية الخرباء من جيبه الخاص وتمكن بواسطته من تعليم خمسة عشر تلميذاً مبادي القراءة ، وعرض على مدير ناحية دير سلان قطعة ارض يجعلها بأسم المعارف ويبني فيها بناية شبيهة بمدرسة دوما وبدأ المدير بمفاوضة الحكومة بهذا الشأن ولولا اضطرابات جبل الدروز لتمكن من اتمام مشروعه واضاف الى حسناته الكثيرة حسنة جديدة الشكر والامتنان .

وقد قدرت مديرية المعارف العامة خدماته الجلى في هذا السبيل وبعث اليه رسائل التنشيط والتقدير والشكر والامتنان .

ينفق موكلنا في كل عام على الفقراء والمعوزين مالا يقل عن الخمسمائة مد من الحنطة وقد وزع على المحتاجين قبل سجنه ما يزيد على الستمائة مد من الحنطة والذرة

وسعى سنة ١٩٢٢ لتأليف شركة وطنية للمنسوجات والقى في سبيلها اموالاً طائلة واشتغل في زراعة القطن واهتم بتعميمها في بلاد المرج كما انه بذل الجهود في سبيل ترقية صناعة الجبن والزبدة والقونسروه وقصارى القول ان الموكل ما فتيء منذ نشأته يسعى لعمل الخير ومساعدة الفقير وتعميم العمل وتوسيع نطاق الزراعة فكان موضع احترام الجميع واعجابهم فالفقير يحبه لسخائه والتاجر يحبه لاهتمامه بتوسيع حلقات تجارته والزراع يكرمه لاعتنائه بتحسين فلاحته .

ان موكلنا لم يعرف في يوم من ايام حياته بالاهتمام في الشؤون السياسية فكانت حياته الخاصة مملوءة باللهو والطرب والمزاح والهزل ولا شك ان كل من عرف فخري بك البارودي هان عليه ان يعرف جميع اموره ودخائله فهو لا يعمل بالخفاء ولا يتكتم في امر من اموره ورجل هذا شأنه وهذه خطته ومنهجه كيف يعقل ان يقدم على اعمال خطيرة لتموين الثوار وكيف يتصور انه يجرؤ على تسليح العصاة

لقد ذهب الى دوما ليساعد فقراءها ويعمل على تخفيف ويلاتهم وطلب الى المسيو

موريس الموظف في دائرة المستشار في المالية وفريد افندي شحلاوي ان يرافقاه في رحلته فكيف يعقل ان رجلاً يريد مساعدة الثوار ومكافحتهم يستصحب في جولاته شاهدين يحصيان عليه الحسنات والسيئات في ذهابه وايابه اللهم ان موكلنا براء من كل ما نسب اليه وانه لم يقصد في رحلته الا الخير ولم يعمل الا لما فيه مصلحة الفقراء والمعوزين : ايها الحكام النزيهون ان العدل والانصاف خليقان بكم وان وجداننا لمستريح ونفسنا لمطمئنة بالوقوف امام رجال اشتهروا بان ضمائرهم ابدا مستريحة لانها لا تعمل الا على حقاق الحق وازهاق الباطل ·

نحن واثقون بان الاسرة القضائية لا تقيم للاعتبارات السياسية وزنا وان حكمتكم التي ستلفظونها بعد قليل ستنقذ هذا المظلوم البريء من غياهب السجن وتعلي كلمة الحق وتقطع دابر الواشين المفترين ·

الحقوق : حملت لنا الصحف في البريد الاخير بشرى اصدار المحكمة قرارها ببراءة فخري بك فتتقدم اليه بالتهنئة وبالشكر للزميلين الفاضلين لما بذلاه من الجهد والعناية في دفاعها الجيد ·

* * *